وتكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل
لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه
انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين
على الله ثم قرا الاية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس
كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله في سوق المدينة فراى
غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه
رجل فكان رسول الله صلى الله عليه يراه عند كل صلاة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم
فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقيل له هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه
فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الايمان هو التصديق مع الثقة وطمانينة النفس
والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا
ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير
مواطاة القلب فهو اسلام وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان قلت ما وجه قوله قل لم
تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا
او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه
فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه
فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل
من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون
ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا امنا
لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة
بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى
كما كان قولهم امنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد
بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم

تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة
قوله قل لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما
امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم
لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء
قد امنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال التَه السلطان حقه اشد الالت وهي
لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية
انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين
لا يلتكم ولا يالتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا
عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا
ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس
ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق
المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة
ويمنون عليه فنزلت ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى امنوا
ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه
فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان
لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن
وانتفاء الريب قلت على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان
او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر نظرا غير سديد
يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنين
حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال
الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على
الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا

Copyright © King Saud University